لتعزيز تنمية الطفولة المبكرة

شراكة استراتيجية لدمج برامج الطفولة المبكرة في النظام الصحي الأردني

إن التعرّض للضغوطات والظروف الصعبة لفترات طويلة خلال السنوات الأولى من عمر الأطفال يخلّف عواقب سلبيّة خطيرة على صحتهم النفسيّة والجسديّة. يواجه ما يقارب ٤٠٪ من الأطفال الصغار في العالم خطر التأخر في النمو، وخاصّة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث يوجد ٥٣ مليون طفل هم في أمسّ الحاجة إلى الدعم الإنسانيّ.[1]

عندما لا ينمو الأطفال بالشكل الذي يؤهلهم لتحقيق أقصى إمكانيّاتهم، فإن هذا يعرّض تنمية مجتمعات بأكملها للخطر. وعليه، فإن خلق ظروف تساعد الأطفال على الازدهار أثناء نموهم وتطورهم يعد أمراً مهماً للغاية. ومن الجدير بالذكر أنه من الممكن للسياسات والموارد والخدمات الداعمة التي تتمحور حول تنمية الطفولة المبكّرة أن تقلّل بشكل كبير الآثار الضارّة للظروف الصعبة والشدائد، وأن تؤثّر بشكل إيجابيّ على المخرجات الاقتصاديّة والاجتماعيّة للأفراد والمجتمعات و قد تستمرّ مدى الحياة.

وبناءً على ما سبق، وتماشياً مع الأولويّات الوطنيّة للحكومة الأردنية، أبرمت وزارة الصحّة شراكة مع مبادرة "أهلاً سمسم" التابعة للجنة الإنقاذ الدوليّة لتطوير برنامج لإدماج تنمية الطفولة المبكّرة في خدمات الرعاية الصحّيّة. يعمل هذا البرنامج بالشراكة مع النظام الصحي الوطني ومع مقدمي الرعاية الصحية على توفير الموارد الضرورية حول الرعاية المستجيبة والتنمية العاطفيّة - الاجتماعيّة للأطفال، وتقديمها للأهالي ومقدمي الرعاية الآخرين القائمين على رعاية الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين صفر وخمس سنوات.

1. اليونيسيف "العمل الإنساني من أجل الأطفال في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للعام ٢٠٢٣." منظمة اليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كانون الأول ٢٠٢٢، www.unicef.org/mena/reports/humanitarian-action-children-middle-east-and-north-africa-2023.

ما هي مبادرة "أهلاً سمسم"؟

أطلقت لجنة الإنقاذ الدوليّة (IRC) وورشة سمسم في عام ٢٠١٨ برنامج "أهلاً سمسم"، وهو مبادرة رائدة توفّر خدمات تنمية الطفولة المبكّرة، بالإضافة إلى برامج التعلّم المبني على اللعب للأطفال المتأثّرين بالصراعات والأزمات في الشرق الأوسط، وتعتبر مؤسسة Global TIES for Children التابعة لجامعة نيويورك الشريك الذي يقوم بمهام التقييم الخارجي للمشروع.

تقدّم مبادرة "أهلاً سمسم" موارد شاملة للعائلات، بدءاً من المحطّات الهامّة في صحّة ونماء الطفل، ووصولاً ً إلى المهارات المعرفيّة والاجتماعيّة - العاطفيّة الأساسيّة، والتي تساعدهم في كافّة الظروف. ويتم ذلك من خلال دمج خبرة لجنة الإنقاذ الدوليّة في الاستجابة للأزمات مع وسائل الإعلام التعليميّة الحائزة على جوائز، والخاصّة بورشة سمسم.

يتمثل نهج "أهلاً سمسم" في تعزيز الأنظمة القائمة في كل من العراق، والأردن، ولبنان، وشمال سوريا، لدعم المجتمعات الأكثر هشاشة، وضمان استدامة الخدمات، وتوسيع نطاق الوصول إلى الفئات المستهدفة. وفي هذا السياق، فإن النظم الصحيّة الوطنيّة تمثّل نقطة دخول مهمة للوصول إلى الأطفال الصغار وأهلهم، لتقديم خدمات شاملة لدعم وتعزيز مفهوم الرعاية في مرحلة التنشئة.

الوصول إلى الأطفال الأصغر عمراً في الأردن

يستضيف الأردن فوق عدد سكانه الذي يصل إلى ١١,٥ مليون نسمة ٧٠٠ ألف لاجئ، نصفهم من الأطفال. يراجع الأطفال – من مجتمعات اللاجئين والمجتمعات المضيفة عيادات الصحّة الأوّليّة لعمل فحوصات منتظمة خاصّة بصحّة الطفل، بدءاً من فترة الحمل وحتى سن الخامسة. إن الالتزام العالي بهذه الزيارات والقيام بها بشكل منتظم يجعل هذه المساحات فرصة فريدة من نوعها للوصول إلى مقدمي الرعاية، وتزويدهم بالأدوات اللازمة التي يحتاجونها لدعم نماء وتطور أطفالهم. إن هذه الفرصة مهمة للوصول إلى عدد كبير من الأطفال، خاصة أن ٨٣٪ من الأمّهات في الأردن يحصلن على الرعاية الصحيّة اللازمة بعد الولادة خلال يومين من الولادة، كما يتلقّى ٩٢٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و٢٣ شهراً جميع اللقاحات الأساسيّة. مع ذلك، فقط ما يقدر بنحو ٧١٪ من الأطفال على المسار الصحيح من الناحية التنموية.

تمثل الرعاية الصحّيّة الأوليّة طريقاً واعداً لإيصال المعلومات الهامّة عن تنمية الطفولة المبكّرة إلى غالبية الأسر في جميع أنحاء البلاد، لكن مراجعات الأطفال الصحّيّة وتدريب العاملين في مجال الرعاية الصحّيّة كان يركّز بشكل حصريَ على الصحّة البدنيّة، مثل اكتساب الوزن أو الطول، والحصول على اللقاحات، والنظافة الجسديّة، والرضاعة الطبيعيّة. إن الصحّة الجسديّة جانب مهمّ من جوانب نموّ الطفل، ولكنّها لا تغطي كافة جوانب نماء الطفل وتطوره، والعاملون في مجال الرعاية الصحّيّة لا يتلقّون تدريباً رسمياً على معالجة الجوانب الرئيسيّة الأخرى، مثل النموّ والتطوّر المعرفيّ الصحّيّ، أو النمو العاطفي الصحي، أو الرعاية المستجيبة.

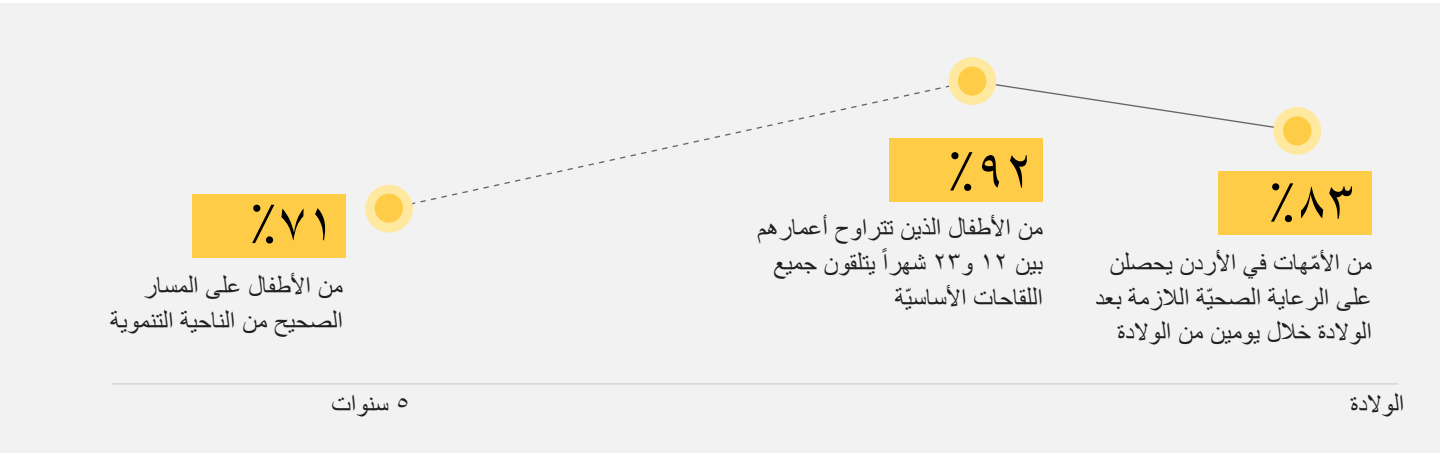

2. المفوضيه السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين "تحديث عمليات الأردن - فبراير ٢٠٢٤." بوابة البيانات التشغيلية للمفوضية (ODP)، مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين، ١٩ مارس ٢٠٢٤، data.unhcr.org/en/documents/details/107382.
3. دائرة الإحصاءات العامة (DoS) [الأردن] و ICF. ٢٠٢٣. مسح السكان والصحة الأسرية في الأردن ٢٠٢٣: المؤشرات الرئيسية. عمان، الأردن، وروكفيل، ميريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية: DoS و ICF.
https://dhsprogram.com/publications/publication-PR151-Preliminary-Reports-Key-Indicators-Reports.cfm
4. اليونيسف والعد التنازلي حتى عام ٢٠٣٠ صحة المرأة والطفل والمراهق. الملامح القطرية لتنمية الطفولة المبكرة: الأردن. https://nurturing-care.org/jordan-2021/

الاستفادة من الأنظمة الصحّية القائمة والشراكات الاستراتيجيّة

من خلال الالتزام المشترك بالمخرجات الخاصّة بالأطفال، قام فريق من وزارة الصحّة الأردنيّة وفريق "أهلاً سمسم" بعمل تصميم مشترك لبرنامج يهدف إلى تعزيز معارف وممارسات العاملين في مجال الرعاية الصحّيّة، لدعم تنمية الطفولة المبكرة الشاملة. كان الهدف من البرنامج هو التأكّد من أن العاملين في مجال الرعاية الصحّيّة (القابلات بشكل رئيسي، بالإضافة إلى بعض الممرضات أيضاً) يملكون المعارف والأدوات اللازمة لتوفير المعلومات ذات الصلة بتنمية الطفولة المبكّرة الشاملة، والرعاية الوالدية لمقدمي الرعاية، خلال الفحوصات الروتينية الخاصّة بصحّة الطفل.

عمل فريق وزارة الصحّة وفريق "أهلاً سمسم" على تطوير تدريب للقابلات، بالإضافة إلى تطوير النصائح والموارد الخاصة بتنمية الطفولة المبكرة التي يمكن للقابلات استخدامها أثناء الفحوصات، بما في ذلك الملصقات التي تحتوي على محطّات نموّ الطفل الهامّة، بالإضافة إلى أداة للحوار هدفت إلى تسهيل المحادثات بين مقدّمي الرعاية والقابلات.

ومن الجدير بالذكر أنّه، منذ كانون الأول ٢٠٢٣، تمّ تدريب ٢٦٧ ممرّضة وقابلة، واللواتي قمن بدورهنّ بإجراء مراجعات صحية لأكثر من ٣٢٥ ألف مقدّم رعاية و٤٩٠ ألف طفل، وقد اشتمل هذا العدد على أطفال ومقدمي رعاية من كلا المجتمعات المضيفة والمجتمعات اللاجئة المقيمة في الأردن. ومن المتوقّع أن يتّسع هذا النطاق بمعدّل سنويّ يبلغ ١٥٠ ألف طفل جديد سنوياً، وذلك بناءً على بيانات معدّلات المواليد والتغطية الصحّيّة الوطنيّة.

بالإضافة إلى استعمال المواد بالطريقة التي تم تزويدهن بها، قامت بعض الممرّضات والقابلات بتعديل مواد برنامج "أهلاً سمسم" لدعم اسلوبهن الخاص بالعمل بشكل أكبر. ومثال على ذلك، ما قامت به واحدة من القابلات من طباعة لنسخ من النصائح من أداة الحوار، مصنّفة حسب الموضوع، ووضعها في جيوب ورقية على جدران عياداتهنّ ليقرأها مقدّمو الرعاية ويأخذونها معهم إلى المنزل. بالإضافة إلى ذلك، قامت عاملة أخرى في المجال الصحّيّ بطباعة نصيحة الأسبوع، ووضعها في إطار لعرضها في غرفة الاستشارة الخاصّة بها، ليقرأها مقدّمو الرعاية أثناء الزيارات. يسلّط كلا المثالين الضوء على أهمّية المرونة لتمكين الإبداع.

بالإضافة إلى ذلك، تمّ تجهيز "زوايا التعلّم المرحة" (انظر الصورة) في ١٠٠ غرفة انتظار في داخل العيادات ليلعب الأطفال فيها ويتفاعلوا معها أثناء انتظار المواعيد، مما يعزّز أهمّية اللعب في نموّ الطفل. ولإعطاء المزيد من الدعم لمقدّمي الرعاية بعد المواعيد، قامت لجنة الإنقاذ الدوليّة ووزارة الصحّة بتجربة لتقديم خدمة مراسلة آلية عبر تطبيق الواتساب في ١٠ مراكز للرعاية الصحّيّة الأوّليّة، حيث يتيح هذا البرنامج لمقدّمي الرعاية تلقّي أنشطة ونصائح إضافية مصمّمة للفئة العمريّة الخاصّة بأطفالهم كلما رغبوا في ذلك.

زوايا التعلّم المرحة

مخرجات البرنامج

للتعمّق والحصول على المزيد من المعلومات حول إنجازات البرنامج، والتحدّيات التي واجهته، وحول تجارب القابلات ومقدّمي الرعاية، أجرى فريق أهلاً سمسم دراسة تنفيذيّة على مدى ٦ أشهر، من تشرين الأول ٢٠٢٢ إلى آذار٢٠٢٣، بقيادة Global TIES for Children التابعة لجامعة نيويورك وفريق أبحاث تنمية الطفولة المبكّرة التابع للجنة الإنقاذ الدوليّة في الأردن. جمعت الدراسة بيانات من ١٩ مركزاً صحياً، ٣٦ قابلة و٣٠٢ مقدّم رعاية. تم جمع البيانات من خلال الرصد والملاحظة لـ ١٤٨ من الزيارات الصحّيّة للأطفال في ١٩ مركزاً صحياً، ومن الاستطلاعات مع إدارات المراكز الصحية، ومقدمي الرعاية الصحية ومقدمي الرعاية للأطفال، بالإضافة إلى المقابلات ونقاشات مجموعات التركيز مع مقدمي الرعاية الصحية، والمقابلات مع مقدمي الرعاية للأطفال.

رؤىً متعمّقة مبنيّة على بيانات البحث والمتابعة:

مستوى الرضى عند مقدّمي الرعاية والتغذية الراجعة المقدّمة من قبلهم على الزيارات الصحية المدمجة مع تنمية الطفولة المبكرة

مستوى عالٍ من الرضى:

ما يقرب من ٩٥٪

من مقدّمي الرعاية أعربوا عن رضاهم عن الزيارات الصحّيّة للطفل، والتي تتضمّن في الوقت الحاليّ محتوى وزارة الصحّة المعتاد، بالإضافة إلى محتوى "أهلاً سمسم" الجديد حول تنمية الطفولة المبكرة.

تقدير عالٍ لأسلوب التواصل:

أفاد مقدّمو الرعاية أن تفاعلهم مع القابلات كان إيجابياً حيث:

٨٨٪
منهم شعروا أن القابلات يستمعن بشكل جيّد.

٨٦٪
منهم أفادوا أن القابلات استجبن بشكل فعّال لمخاوفهم بشأن أطفالهم.

ما يزيد عن ٥٠٪
تذكّروا أن القابلات قمن بتقديم نصائح مفيدة في مجال تربية الأطفال.

إدماج تنمية الطفولة المبكرة في الزيارات الصحيّة للطفل:

نتائج متباينة:

٨٣٪
من القابلات أقرنّ استخدام معلومات تنمية الطفولة المبكّرة والتربية الوالديّة المتعلّمة من تدريب "أهلاً سمسم" في زيارة صحيّة واحدة على الأقل في الشهر السابق للمسح.

٧٤٪
منهنّ قلن إنهن استخدمن أداة "أهلاً سمسم" للحوار في مجال تنمية الطفولة المبكّرة خلال جلسات الاستشارة.

٦٠٪
أشرن إلى دمجهنّ لمواد من مجموعة أدوات لعب "أهلا سمسم" الخاصة بتنمية الطفولة المبكّرة في ممارساتهن.

أظهرت الملاحظة البحثية المباشرة خلال الزيارات الصحيّة أن ***القابلات ناقشن سلوكيات الأطفال أو قمن باستعمال مواد "أهلاً سمسم" الخاصّة بتنمية الطفولة المبكرة بشكل واضح في حوالي ٧-٢٨٪ من الزيارات****، إلا أنّه، ومع هذا التدخّل المدمج، كان من الصعب تحديد أيّ المعلومات واردة من محتوى وزارة الصحّة الحالي، وأيّها واردة من محتوى تدخّل "أهلاً سمسم" الجديد لتنمية الطفولة المبكّرة.*

5. تعرف الدراسة التنفيذيّة بأنها دراسة تستخدم لاختبار فعالية النماذج الجديدة أو تحديد التعديلات على النماذج الحالية. يتم استخدامها لتوثيق، اختبار وصقل نماذج البرامج بطريقة منظمة.
6. النتائج المستخلصة من الدراسة التي تم تنفيذها حول مدى فعالية إدراج معلومات وإرشادات تنمية الطفولة المبكرة ضمن زيارات رعاية الطفل في المراكز الصحية التابعة لوزارة الصحة في الأردن
https://doi.org/10.6084/m9.figshare.25480897

بالرغم من أنه كان واضحاً من المخرجات أن تقدير البرنامج كان عالياً، إلا أن البيانات المتعلّقة بتنفيذ القابلات للتدخل الخاص بتنمية الطفولة المبكّرة جاءت مختلطة. استنادًا إلى مجموعات النقاش المركزة والتي تمّ القيام بها مع القابلات في إطار البحث، فإننا نعتقد أن القابلات واجهن العديد من التحدّيات في تنفيذ إدماج تنمية الطفولة المبكّرة، والتي يجب أن يتمّ معالجتها في الجولات المستقبلية للتدخّل.

أولاً، ذكرت القابلات أنّ الوقت القصير (١٥-٣٠ دقيقة) الذي تستغرقه معظم الزيارات الصحّيّة للطفل يجعل من الصعب عليهنّ إكمال جميع المهام المطلوبة ومشاركة المعلومات الخاصة بتنمية الطفولة المبكّرة. وعليه فإن إضافة معلومات جديدة عن تنمية الطفولة المبكّرة إلى الزيارات القصيرة كان أمراً صعباً.

ثانياً، أفادت القابلات بأن مقدّمي الرعاية قد لا ينظرن إليهنّ على أنّهنّ المصدر الأكثر مصداقيّة لإعطاء النصائح الخاصة بالتربية الوالدية وبنماء الطفل وتطوّره، خصوصاً إذا كانت نصيحة القابلات تتعارض مع النصيحة المقدّمة من أفراد الأسرة.

من ناحية أخرى، أشارت عمليات الرصد والملاحظة أن القابلات ومقدمي الرعاية قاموا بالتحدث عن ممارسات التغذية في ٥٧٪ من الزيارات. من الجدير بالذكر أن المعلومات الخاصة بالإطعام والتغذية كانت مدرجة في الزيارات الصحية للأطفال قبل هذا التدخل، بينما قام تدريب "أهلاً سمسم" وأدواته بتقديم معلومات إضافية لمقدّمي الرعاية لدعم أطفالهم الذين يعانون من عادات خاصة بتناول الطعام (مثل رفض الأطعمة الجديدة).

بالرغم من التحديات، إلا أن الدراسة التنفيذية أكدت على اهتمام القابلات بإدماج معلومات تنمية الطفولة المبكّرة الشاملة في عملهم اليوميّ، حيث أشارت الدكتورة أريج حجّاوي، مديرة وحدة صحّة الطفل في وزارة الصحّة إلى هذا بقولها "حدثت هناك نقلة في عقليّة القابلات وطريقة تفكيرهن، حيث طالبت القابلات اللواتي لم يتلقّين تدريب "أهلاً سمسم" في البداية بالحصول عليه لاحقاً."

> *"حدثت هناك نقلة في عقليّة القابلات وطريقة تفكيرهن، حيث طالبت القابلات اللواتي لم يتلقّين التدريب في البداية بالحصول عليه لاحقاً. ونتيجة لهذا النجاح، طلبت الوزارة توسيع نطاق البرنامج ليشمل جميع أنحاء المملكة."*
>
> **— الدكتورة أريج حجّاوي،**
> *مديرة وحدة صحّة الطفل في وزارة الصحّة*

ونتيجة لهذا الحماس تجاه البرنامج، طلبت الوزارة توسيع نطاق البرنامج ليشمل جميع أنحاء المملكة، وتأمل الدكتورة أريج الحجاوي أن تساعد هذه المبادرات في الدفع نحو إيجاد المزيد من الحلول التي تعالج التحدّيات اليوميّة الخاصة بصحة الأم والطفل على مستوى صنع السياسات، والتي تشمل زيادة الاستثمار في خدمات تنمية الطفولة المبكّرة وتوفير الدعم لمقدّمي الخدمات.

أمّا بالنسبة للتوجّه المستقبلي، فستواصل وزارة الصحّة إدماج محاور تدخّلات تنمية الطفولة المبكّرة في سياساتها وعمليّاتها الحاليّة، كما ستقوم لجنة الإنقاذ الدولية ووزارة الصحة بمراجعة المحتوى وطرق التنفيذ لضمان تقديم برامج ذات جودة عالية تعالج التحديات التي تم التعرف عليها خلال مرحلة البحث. كما سنقوم بالعمل على توليد المزيد من الطلب من قبل المجتمع ومقدّمي الرعاية على معارف تنمية الطفولة المبكّرة التي تقدّمها القابلات. ومن الجدير بالذكر أن التحسينات المستمرّة للبرنامج ستضمن استطاعة العاملين في القطاع الصحي على تنفيذه، كما ستضمن فعاليّته في تحسين المخرجات التنموية الخاصة بالأطفال.

التوفيق بين تنفيذ المشروع وتعزيز الأنظمة من أجل التوسع

من أجل استمرار التقدّم الحاصل في سدّ الثغرات التي تم تحديدها في مجال دعم النمو والتطور الشامل للأطفال في النظام الصحّيّ الوطنيّ الأردنيّ، قامت وزارة الصحّة بأخذ سلسلة من الخطوات لتضمين عناصر البرنامج في أنظمتها الحاليّة، كما سعت للحصول على التمويل اللازم لإدماج الرعاية الوالدية وتنمية الطفولة المبكرة بشكل مستدام.

في آب ٢٠٢٣، قام مجلس التمريض الأردنيّ باعتماده تدريب تنمية الطفولة المبكّرة الذي طورته وزارة الصحّة ولجنة الإنقاذ الدولية. هذا التدريب يعادل ٦ ساعات (من أصل ٥٠ ساعة مطلوبة لتجديد التراخيص) من التدريب الإلزامي والذي تقدمه الوزارة لجميع العاملين في الرعاية الصحّيّة. بالإضافة إلى ذلك، حصلت وزارة الصحّة أيضاً على تمويل إضافيّ من الوكالة الأمريكيّة للتنمية الدوليّة (USAID) لتدريب ١٢٠ قابلة إضافيّة، وذلك بهدف الوصول إلى ما مجموعه ٣٦٪ من القابلات في الأردن بحلول نهاية عام ٢٠٢٤.

ومن أجل دمج المشروع ضمن النظام الصحّيّ الوطني الحاليّ بشكل أكبر، تعمل رئيسة وحدة صحّة الطفل في وزارة الصحة مع لجنة الإنقاذ الدوليّة على تعديل السياسات الحاليّة، لزيادة تبني استخدام المعلومات الخاصة بتنمية الطفولة المبكّرة أثناء الزيارة الصحّيّة للطفل. كما تقوم وزارة الصحة حالياً بمراجعة التوصيف الوظيفي للقابلات لعكس المسؤوليّات الإضافيّة المتعلّقة بالرعاية المستجيبة وبالاحتياجات العاطفيّة الاجتماعيّة النمائيّة للأطفال، وذلك في أثناء فترة التعيينات. كما يتم إدماج النصائح الخاصة بتنمية الطفولة المبكرة في القائمة التفقّدية الخاصة بالزيارات الصحية، والتي تعدّ جزءاً من الملفّ الصحّيّ للطفل. إن دمج نصائح تنمية الطفولة المبكّرة في هذه القائمة التفقدية سيسمح للوزارة بمراقبة تنفيذ التدخّل، وتذكير القابلات المشغولات بمناقشة نصائح تنمية الطفولة المبكرة مع مقدمي الرعاية.

وبناءً عليه، وإدراكاً لأهميّة تدخّل تنمية الطفولة المبكّرة بالنسبة للخدمات الصحّيّة الحاليّة، والذي عملت وزارة الصحّة ولجنة الإنقاذ الدولية معاً على تطويره، أكّدت وزارة الصحة على أنّه سيتمّ تقديم توصية على مستوى صنع السياسات إلى وزيري الصحّة والماليّة، لضمان إدراج تنمية الطفولة المبكّرة كبند في الميزانيّة لعامي ٢٠٢٥ و٢٠٢٦.

أكّدت وزارة الصحة على أنّه سيتمّ تقديم توصية على مستوى صنع السياسات إلى وزيري الصحّة والماليّة، لضمان إدراج تنمية الطفولة المبكّرة كبند في الميزانيّة لعامي ٢٠٢٥ و٢٠٢٦.

العبر والدروس المستفادة

تصميم يركز على الأنظمة الموجودة بطريقة تساعد على توسيع نطاق الخدمات: يعدّ تنفيذ برنامج إدماج تنمية الطفولة المبكّرة في خدمات الرعاية الصحّيّة في الأردن نموذجاً رائداً في الشرق الأوسط للاستفادة من البنية التحتيّة للنظام الصحّيّ من أجل تعزيز مخرجات تنمية الطفولة المبكّرة. من خلال مواءمة تصميم البرنامج مع إطار الخدمات الصحّيّة الحالي، رسّخت وزارة الصحّة الأردنيّة ولجنة الإنقاذ الدوليّة نهجاً قابلاً للتكرار والتوسّع. كما تجدر الإشارة إلى أن هذا التدخّل الشامل لإدماج تنمية الطفولة المبكّرة في خدمات الرعاية الصحّيّة قد تمّ اعتماده بنجاح من قبل وزارة الصحّة في العراق ليصل إلى ٢٢٥ ألف طفل منذ إطلاقه في آذار ٢٠٢٣، ومن قبل المنظّمات غير الحكوميّة الشريكة في شمال شرق سوريا، ليصل إلى ٥٠١٩ طفل في عام ٢٠٢٣. لقد كانت الدروس المستفادة من تنفيذ البرنامج في الأردن فعّالةً في صقل وتعزيز دمج المفاهيم الأساسيّة لتنمية الطفولة المبكّرة في النظم الصحّيّة.

تعميق العلاقات من أجل تحقيق التنمية على المدى الطويل: إن تعاون لجنة الإنقاذ الدوليّة مع وزارة الصحّة الأردنيّة يتجاوز الحدود التقليديّة للرعاية الصحّيّة للأم والطفل ويتبنّى نهجاً شاملاً. إن هذه الشراكة تعكس الالتزام الجماعيّ تجاه الاستجابة لاحتياجات النظام، مع التركيز على تحسين مخرجات تنمية الطفولة المبكرة وجودة خدماتها، وليس فقط النجاح في الوصول إلى الأعداد المرجوّة. ومن خلال الاستثمار في العلاقة بين لجنة الإنقاذ الدولية ووزارة الصحة، لم نتمكّن من تعزيز التنفيذ الحاليّ للتدخّلات فحسب، بل قمنا أيضاً بوضع الأساسات اللازمة لتعزيز مستدام وشامل وطويل الأمد للنظام الصحي الأردني.

تبّني التكيّفيّة من أجل التحسين المستمّر: تؤكّد رحلة برنامج إدماج تنمية الطفولة المبكّرة في خدمات الرعاية الصحّيّة على الأهمية الكبيرة للقابليّة على التكيّف والتعلّم المستمرّ في مواجهة التحدّيات والفرص المستمرّة بالظهور والتغيّر. وتظهر هذه المبادرة، التي نشأت نتيجة للمناقشات مع وزارة الصحّة والتعرّف على احتياجات النظام الصحّي في الأردن، أهمّية التعاون المرن والمستجيب في معالجة طيف واسع من احتياجات تنمية الطفولة المبكرة. ولقد أظهرت تجاربنا في الأردن والعراق وشمال شرق سوريا أن النجاح لا يتّسم بالثبات والجمود، بل هو عمليّة ديناميكيّة من التكيّف والنموّ.

التطلّع إلى المستقبل

يمثل برنامج إدماج تنمية الطفولة المبكّرة في خدمات الرعاية الصحّيّة نموذجاً على قدرة التدخّلات التي لديها معرفة عميقة بالنظم القائمة على تحقيق تغيير جذريّ في مجال تنمية الطفولة المبكّرة. ومن خلال التصميم المشترك، مع أخذ إمكانية توسيع النطاق بعين الاعتبار، ومن خلال تعميق شراكاتنا، وتبني القابليّة على التكيّف، قمنا ببناء أساس متين لتوسيع نطاق التأثير الايجابي، ومواصلة تحسين حياة الأطفال والأسر في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وبينما نمضي قدماً في العمل مع شركائنا، يظلّ تركيزنا منصبّاً على تعزيز قدرة النظام الصحّيّ على دعم تنمية الطفولة المبكّرة بشكل شامل، وذلك من خلال الاستمرار في إعادة تنفيذ التدخّلات القائمة وتحسينها، والبحث عن المزيد من الفرص لدمج تنمية الطفولة المبكّرة في النظام الصحّيّ. إن اعتماد تدريبنا الخاصّ بتنمية الطفولة المبكّرة - والذي تمّ تطويره بشكل تشاركي من قبل مجلس التمريض الأردنيّ، ودمج محتوى تنمية الطفولة المبكّرة في ممارسات الرعاية الصحّيّة الروتينية، كلها تمثّل معالماً بارزة في الرحلة نحو التغيير الممنهج. وعليه، فإن هذه الإنجازات، مضافٌ إليها التزام وزارة الصحّة بتضمين تنمية الطفولة المبكّرة كأولويّة في تخطيطها لميزانية عاميّ ٢٠٢٥ و٢٠٢٦، لهو مؤشّر على مستقبل واعد لاستدامة البرنامج وتعميق أثره.